

وميرة الشعر البرناسى - فيما يرى « لو كنت دى ليل » - هي في قدرة الشاعر على تعميم مشاعرة الخاصة ، بالتعبير عنها في صور موضوعية ، على أن يلتزم الشاعر الحيدة التامة حيالها ، شأنه شأن العالم في معمله حياله تجاربه الطبيعية . وقد تعكس هذه الصور آراءه أو مشاعره ، ولكن عن طريق غير مباشر ، بتقديمها في موضوعات إنسانية أو مناظر طبيعية قد تشف من بعيد عن مثله المنشودة ، ولكن الشاعر لا يقصد سوى تقديمها كما هي ، وللقارئ أن يستنتج منها ما يشاء .

ونتيجة لذلك كانت الصور في الشعر البرناسى وصفية . . يسجلها الشاعر أمام المنظر الطبيعي ، أو اتجاه الموضوع الذى يعالجه ، بوصفه شاهداً على ما يرى ، وكان شعره مرآة ترمى فيها الأشياء كما هي ، أو كأنه متفرج يصف لك في أمانة دقائق ما عرض له . فالصور فيه مقصودة لذاتها ، والوصف لذات الوصف ، لا يتخلده البرناسى الخالص دعامة لآراء فلسفية يستنتجها ، أو للمذهب فكرى بشرحه ، ولا يجعل منها رموزاً توحى بحالات نفسية خاصة . فإذا وصف البرناسى منظرأ طبيعياً - وكثيراً ما كانوا يصفون - عرضه عليك في دقائقه كما هو ، وحرص كل الحرص على ألا يخلطه بمشاعره ؛ وإذا بعث شخصية تاريخية في موقف عظيم الدلالة - وكثيراً ما ولعوا بذلك - فلن يتخلدها رمزاً لموقف حاضر ، ولسكنه يبعثها في أخص ما امتازت به تاريخياً ، كما كانت ، ويترك لك استنتاج ماتدل عليه إنسانياً واجتماعياً . وإليك مثلاً من شعرهم الوصفي ما يقوله تيوفيل جوتيه (١) من قصيدة له عنوانها : « أعمى » :
 أعمى في جانب من الطريق ؛ كتيب المظهر كبومة في النهار ؛ على زمارته يوقع في لحن حزين ، يتحسس ثقبها ويخطئها . يردد أغنية قديمة دارجة ، يلحن فيها ولا يبالي ؛ يقوده كلبه في المدينة ، شبح ذو عين نائمة في النهار . تمر به الأيام لاتقضى ؛ وعبوساً يصفى إلى العالم المظلم والحياة الخفية تهدر هدير السيل خلف حائط ! يعلم الله أية أوهام سوداء تختل دماغه الكثيف ،